على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين
ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس
الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون
مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال
وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع
كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن
ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان
يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت
معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي
نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك
وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات
اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر
المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت فما الفائدة في استغفارهم
لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة
الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام
والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم اي ينادون يوم القيامة
فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغني بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم
القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم
الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم
في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة

الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم
الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده
اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين
خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى
واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا
اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر
الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات
والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح
لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما
على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل
الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات
وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها او يزعم ان الله
يحييهم في القبور وتستمر بهم الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين
من الصعقة في قوله الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا
بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش
العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر
على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه
من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام الياس
واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط
وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم